المحاضرة الرابعة

جرائم المرأة

تقديم:

لما كانت الجريمة التي يقترفها الرجل لها حظ الأسد من جل الدراسات، فان تناولها عند المرأة لازال يحاط بكثير من الحيطة والحذر، السرية والغموض، فهي تشكل شكلا من أشكال الطابوهات التي لا يحق للباحث إماطة اللثام عنها، أو الكشف عن ماهيتها وأسرارها رغم تأكيد مختلف الدراسات والإحصائيات على أن إجرام المرأة في منحى تصاعدي خطير سنة بعد أخرى.

وإذا سلمنا جدلا أن الظاهرة إجرام المرأة هي جزء من ثقافة الجريمة بشكل عام فانه لا يجوز الولوج مباشرة في تناول ظاهرة اجرام المرأة حون الإشارة الى الدراسات التي أقيمت في هذا الحقل، ما لا شك ان هذه الظاهرة هي قضية معقدة و متشعبة حالها حال كل الظواهر ، لذلك كان من الواجب تشخيص العوامل و الأسباب التي تدفع المرأة الى ارتكاب السلوك الاجرامي.

أولا/دراسات حول جرائم المرأة:

تعتبر نسبة الدراسات التي تتناول اجرام المرأة ضئيلة مقارنة مع الدراسات حول اجرام الرجل، كما انه كثير منها ما ركزت على الجرائم الجنسية هي جرائم النسوية، ولعل انخفاض معدل ارتكاب الجريمة من طرف المرأة هو السبب الرئيسي في قلة الدراسات في حقل الجريمة والانحراف، أي انه التوجه الذكري لميدان الانحراف في المجتمع هو المسؤول عن اعاقت دراسة بعض النماذج السلوك المنحرف لدى الاناث مثل انحراف المراهقات.

وقد وجه الكثير من الباحثين القرن الماضي المختصين في الميدان إلى ضرورة البحث في ظاهرة اجرام المرأة وعدم اهمالها ومن بين هؤلاء نذكر **ثورستين سيلين** **THORSTEN SELLIN** و **لتر ريكلس** WALTER RECKLESS ، **سولنجر** SULLENGER و **هاري إلمر بارنز** HARRY ELMER BARNES، وعلى الرغم من ان المجال البحث في ظاهرة اجرام المرأة لا يشكل حجما كبيرا في تراث الجريمة الا انه يمتاز بالتنوع في تفسيراته للسلوك الاجرامي النسوي، وعليه يمكن تقسيم الدراسات الى ثلاثة فترات زمنية و هي كالاتي:

1/ **الدراســات التي ظهرت من خلال الخمســنيات:** تمتد هذه الدراســة من 1850 إلى 1950 ظهرت خلالها دراسات عديدة نذكر منها دراسة **لومبروزو** LAMBROSEAU سنة 1825 في كتاب له تحت عنوان "المرأة المجرمة" تناول اجرام المرأة بشــكل عام وتعرض الى صــفات الفسـيولوجية التي تميز المرأة المجرمة كما اعتقد ان سـبب انخفاض جرائم المرأة يعود الى انها ترتكبها في الخفاء ولا يتم اكتشافها من طرف رجال الشرطة.

ضـف الى ذلك دراسـة **شـيلدون جلوك** SHELDON GKUECK عام 1935 و التي ترى ان ســبب اجرام المرأة راجع الى انعدام التكافل فالمرأة ان لم تكن متكيفة بأدوارها كام و زوجة ولها قدر من التسيب فهي تعاني من حالة انعدام التكيف و هذا ما يدفعها للانحراف.

وما كان يميز كتابات هذه الفترة هو تأثير **النظرة الفرويدية** على السـلوك الاجرامي لدى المرأة والتي ترتكز على الدوافع اللاشـعورية (القوية) وتأثيرها في سـلوك المرأة، كذلك على أهمية مرحلة الطفولة المبكرة لدى المرأة و الاضــطرابات العاطفية والوجدانية عندها، وركز على مفعول امتدادات الاضـطرابات اللاشـعورية وتشـعباتها في بروز أو ظهور الشـخصـية المرضـية (نفسيا)، أو بروز و ظهور السلوك غير الوي، أو الشاذ أو الإجرامي لدى المرأة.

فالنظرية **الفرويدية** رغم ما تعرضــت له من انتقادات الا انها تمثل ثقلا في تراث علم الجريمة فهي بذلك الأساس التفسيري لمعظم كتابات قبل 1920 .

2/ **الدراســات التي ظهرت في الســتينيات:** من اهم هذه الدراســات في فترة الســتينيات دراســة **اوتو بولاك** OTTO POLLAK و التي اختلفت عن الدراســات التي كانت ســائدة خلال فترة الخمسـينيات من عدة جوانب فقد دحض **بولاك** فرضـية ان المرأة اقل اجراما من الرجل معلنا ان جرائم المرأة تتســاوى معدلاتها مع جرائم الرجل، اما عن الأســباب التي جعلت **بولاك** يعلن عن ذلك انه يرجعها الى صــفات القناع التي تمتاز بها الجرائم المرأة كما ان دورها كأم او اخت او ابنة يجعل من الصـعب اكتشـاف جرائمها في حق المقربين اليها، فمثلا وضـع السـم في الطعام في جريمة القتل ســهلة الارتكاب من طرفها، كذلك من جرائمها الدعارة و الإجهاض، و قتل الأطفال حديثي الولادة وجرائم السرقة في المنازل تكون سهلة الارتكاب ، وقد لا يتم الإبلاغ عن هذه الجرائم امام السـلطات المختصـة بسـبب التعاطف معها، كما غالبا ما يتم سـترها من طرف الرجل في حالة اشتراكها معه فانه يبعد التهم عنها ويتحمل المسؤولية الجنائية لوحده.

كما يرى بولاك ان وراء انحراف الاناث راجع الى عاملين رئيسيين هما ، النمو الجسدي المبكر والنضج الجنسي و السبب الثاني هو الخلفية الاسرية التفكك و اضطرابات، كما يرى أيضا ان هناك ثلاثة مراحل لجرائم المرأة و كل مرحلة تتأثر بالتغيرات الفسيولوجية و هي مرحلة الطمث و التي يمكن لها ان ترتكب خلالها الجرائم، مرحلة الحمل، فيمكن ان توجه الانثى سلوكها غير السوي اتجاه جنين، وأخيرا انقطاع الطمث و التي تزداد فيها جرائم السرقة العمد و الايذاء و الشهادة الكاذبة، كما يرى بولاك ان هناك جرائم ترتكبها المرأة أكثر مما هو موجود في سجلات الرسمية.

خلص **بولاك** في النهاية الى وجود أنماط شبه ثابتة لجرائم النساء، و التي تكون في اغلبها جرائم جنسية و أخلاقية كما ان فكرة انخفاض جرائم المرأة عن جرائم الرجل هي أغلوطة و في حقيقة الامر ان الجرائم التي ترتكبها لا يبلغ عنها و بالتالي لا تتضمنها الاحصائيات الجنائية، كما يوجه **بولاك** اهتماما الى حقيقة مفادها ان النساء يكن على علاقة بضحاياهن في الجرائم مثل الأبناء و الأزواج والعشاق مما يحول دون الكشف عن جرائمهن من هذا النوع.

3/ الدراسات التي ظهرت بعد الستينيات: لقد لقى موضوع اجرام المرأة بالاهتمام والرعاية والتقصي من طرق المختصين في علم الاجرام فلم يعد الاجرام ذا طابع ذكوري ولم تعد السجون تخصص للرجال فقط وان اه ما يميز دراسات هذه الفترة هو تقصي الأسباب التي تدفع بالمرأة ال ارتكاب الجريمة من البيئة الاجتماعية التي تحيط بها و تتفاعل معها.

ومن بين هذه دراسات نجد دراسة **فريدا أدلر** FRRIDA ADLER في كتابها الاخوات في الجريمة عام1975ن و التي بينت دور و العوامل التي دفعت المرأة للانحراف ومن أهمها ظهور حركات التحرر التي تنادي بحقوق المرأة و مساواتها مع الرجل.

فسرت **ادلر** ازدياد معدلات جرائم المرأة نتيجة للحركات التحرر النسائية التحررية والتي أتاحت المزيد من الحرية للمرأة في حدوث تغيرات في السلوك الاجرامي لديها وتزيد من معدلات اجرامها وانه يمكن التعامل مع الحالة الاجرامية للمرأة كمؤشر على درجة التحرر التي حققها المجتمع وأوردت بعض الاحصائيات التي تدعم وجهة نظرها، وهذا راجع الى إعطاء الفرصة أكبر للجريمة عندها مع ضعف الضبط الاجتماعي فبعدما كانت تقوم بأدوار ثانوية أصبح دورها رئيسيا، كما ان اجرام المرأة راجع أيضا الى الفروق الموجودة بين الجنسين، فكلما ضاقت الفوارق في كل المجالات كلما زادت نسبة اجرام المرأة بصورة مطردة، كذلك دراسة **ريتا سيمون** RITTA SIMON التي اهتمت بعامل خروج المرأة الى العمل واثر ذلك على زيادة انحرافها

و ارتكابها للجرائم، وتنبأت بان زيادة فرص العمل بالنسبة للمرأة سف يزيد من ارتكابها لجرائم لها علاقة بالعمل و المهن التي تمتهنها.

زد الى ذلك دراسة **بنجامين** BENJAMIN و **ماسترز**MASTERS عام 1964 والتي تتضمن تحليلا للأشكال المعاصرة للبغاء و كذا تعدد العوامل الدافعة لاحتراف البغاء فقد وضعا اطارا تنظيميا لهذه العوامل يتكون من 3 فئات من المؤثرات القائمة في الموقف الاجتماعي وهي العوامل المهيئة والعوامل الجاذبة بالإضافة الى العوامل الدافعة والمعجلة، ثم قسم البغاء الى فئتين: البغايا اللائي يحترفن البغاء كواعية و بإرادتهن وبكامل حريتهن وبغايا يحترفن البغاء قهرا و يدفعن اليه ميول عصابية، ويدرج **بنجامين** و **ماسترز** في فئة العوامل المهيئة: الخصائص الاسرية مثل الفك الاسري، الشذوذ الجنسي لدى الوالدين، الوسط الاجتماعي البيئي، واما العوامل الجاذبة فيندرج تحتها صور المكاسب و المزايا التي يمكن الحصول عليها من العمل في البغاء كارتفاع الدخل و الاثارة و المتعة الجنسية، وأما العوامل الدافعة فيندرج تحتها الضغوط الاقتصادية و الفشل في الزواج أو الحب و الصلات الوثيقة بصديقات السوء ومحترفات البغاء.

وفي مجمل القول ان الدراسات التي أقيمت في حقل اجرام المرأة كانت كلها تبحث في عوامل وسببية ارتكابها للفعل المجرم الا ان الموقف الذي يتخذ من الحركات التحررية عاملا محفزا للإجرام كان الأكثر تقبلا وواقعية، هذا بالنظر الى التغيير في أدوار المرأة ، فبعدما كان دورها يقتصر على تربية الأبناء و رعاية شؤون البيت اصبح اليوم دورها يتعدى هذه الوظيفة، فبخروجها لميدان العمل والمطالبة بالمساواة بين الجنسين أدى في اغلب المواقف الى احتكاكها اكثر بأفراد المجتمع مما جعلها عرضة لشتى أنواع الضغوطات والمشاكل .

ثانيا/مظاهر اجرام المرأة :

إن اختلاف اجرام المرأة عن الرجل يعود للاختلاف القائم في تكوينهما الطبيعي العضوي والنفسي، الذي بدوره يؤثر في تكوينهم الاجتماعي الامر الذي يفسر التباين في عملية التنشئة الاجتماعية الموجهة لكلا الجنسين، كما اثبتت الدراسات ان الجرائم النسوية تختلف عن جرائم الذكورية من حيث النمط الكمية و الخطورة الاجرامية.

1/ اجرام المرأة من حيث الطريقة :

اتفقت الكثير من الدراسات ان نسبة اجرام المرأة تقل من نسبة اجرام الرجل، وان وهذا راجع الى اعتبارين، الأول ان كثير من الجرائم النساء ترتكب في الخفاء ولا تسجل في الاحصائيات مثلها جرائم السرقات المحلات التجاري والإجهاض في حين لا تتح الظروف للرجل إخفاء ما يرتكبه، والاعتبار الثاني ان المرأة توحي الى الرجل بارتكاب الجريمة دون ان تقدم عليها فكثير من الجرائم يرتكبها الرجال تكون تزلفا للمرأة واستجلابا لرضاها، وهذا استنادا للمقولة الشهيرة" **ان المرأة لا تقذف الحجر بيدها و انما بيد الرجل** "ويعني ذلك ان اجرام المرأة لا يكون اقل في الحقيقة بل يكون اقل ظهور منه، ، كما يمكن قول ان تحديد حجم الجرائم التي ترتكبها المرأة يجب ان تراعي فيه المسائل وعوامل عدة و التي من شأنها التأثير في حجم اجرامها .

ضف الى ذلك تلك الأنماط من الجرائم التي تتميز بها المرأة وتختص بها، لقد اثبتت الدراسات ان المرأة غالبا ما تقدم بالإفراط على ارتكاب الجرائم ذات صلة بوضعها الانثوي، ويتضاءل بشكل ملحوظ نصيبها من الاجرام لسبب ذاته في أنواع أخرى من الجرائم.

حيث ثبت ان للمرأة جرائم قتل المواليد عهيدي الولادة، كذلك جرائم الإجهاض و جرائم القتل بالتسميم ، خاصة الجرائم البسيطة والسهلة الارتكاب، كالسرقة في المحالات الكبيرة و تشجيع الأولاد على الفجور و جريمة إخفاء الأشياء المسروقة، نهيك عن ارتكابها لجرائم أخلاقية مخالفة للأخلاق الجنسية كما أكدته دراسات **بولاك**، ضف الى ذلك أن **بيرس سميث** PIEER SMITH أن المرأة تستخدم الدهاء والحيلة والغراء لارتكاب السلوك الاجرامي.

2/ اجرام المرأة من حيث الجسامة السلوك الاجرامي:

يغلب على اجرام المرأة استخدام الحيلة والدهاء والمكر فكثيرا ما تلجأ المرأة الى استخدام السم في القتل وارتكابها لجرائم السرقات البسيطة غير مصحوبة بالعنف كما انها أقل عودا وعدوانا، حيث جرائم النساء غير جسيمة، اذ يقل نصيبها من الجنايات ويزداد في الجنح والمخالفات، وان غالبية الفقهاء وعلماء الاجرام أكدوا ان اجرام المرأة يختلف عن الرجل خاصة من حيث الجسامة الفعل المرتكب وهذا ما دفع بهم الى البحث في العوامل التي تقف وراء ذلك نذكر من بينها:

-الاختلاف في التكوين الجسماني ووظائف الأعضاء بين الرجل والمرأة يؤدي الى الاختلاف في طبيعة الجرائم التي يرتكبها كلا منهما.

-طبيعة التكوين الهرموني للمرأة، حيث ان الجهاز العصبي الانثوي اقوى من الجهاز العصبي الذكري لذا يكون الذكر أكثر عرضة للانفعال من الانثى ومن ثم فان قدرة المقاومة عند الانثى أقوى من قدرة المقاومة عند الذكر.

-من الناحية النفسية تتعرض المرأة لظروف خاصة بها تؤثر على نفسيتها وتدفعها الى ارتكاب بعض الجرائم ومن ذلك حالات الحمل والوضع والرضاعة فهي تتعرض لانفعالات مختلفة قد تدفع بها الى ارتكاب طائفة محددة من الجرائم كالإجهاض كما ان النضوج البدني المبكر للفتاة ما يصاحبه من ظهور علامات الانوثة عليها قد يجعلها فريسة سهلة لهتك العرض والاغتصاب.

ونظرا لأهمية العامل النفسي في ارتكب الجريمة آمنت الدراسات الحديثة بأثر العوامل النفسية في الاقبال على السلوك الاجرامي وعملت التشريعات على إلزام بالتحقيق في البواعث السيكولوجية للمرأة المجرمة، وبذل كل همة وعناية واجراء كل التحريات الازمة للوصول الى اظهار الحقيقة وللتعرف على شخصيتها وتقرير الوسائل الكفيلة لتهذيبها.

وكخلاصة القول ان انفردت بعض الدراسات الى محاولة تفسير ظاهرة اجرام المرأة والبحث عن العوامل التي تدفع بالمرأة الى ارتكاب الجريمة التي توصلت الى انه لا يمكن ارجاع اجرام المرأة الى عامل او متغير واحد، الامر الذي يدفع الى تغيير في المفاهيم والأفكار ومناهج البحث بالمرأة لنؤكد ان المرأة أحدثت ثورة وانقلاب على المعارف السابقة في علم الاجرام لتساءل في الأخير هل المرأة غيرت نظريات الجريمة والجريمة بحد ذاتها.

لقد انتشرت في الآونة الأخيرة العديد من السلوكات الاجرامية المرتكبة من طرف المراهقات التي كانت حكرا على الرجال وبتن ينافسونهم رغم اختلاف نوعها وخطورتها، حيث تعددت سلوكاتهن الإجرامية بتعدد العوامل المؤدية لذلك.

فالإهمال الأسري والحرمان العاطفي والقسوة في المعاملة أو الإفراط في التدليل نتيجة التفكك الأسري من العوامل التي دفعت بالمراهقة للإجرام وارتكاب مختلف السلوكات الإجرامية، كما ساهمت الرقابة الأسرية الغائبة في احتكاكها برفقاء السوء خاصة المجرمين منهم وتشرب سلوكاتهم التي كانت سببا في دخول عالم الإجرام وامتهانه لكسب المال خاصة أن بعض المراهقات طردن من المنزل بعد اكتشاف أمرهن.

وعليه فان ارتكاب المراهقات للسلوكات الإجرامية لم يقتصر على عامل واحد بل على مجموعة من العوامل المتفاعلة مع بعضها البعض وهيأت الأرضية لذلك، وقد كان ارتكابهن

العديد من السلوكات الإجرامية سببا في دخولهن إلى مراكز إعادة التربية بهدف إعادة تأهيلهن وإدماجهن في المجتمع، إلا أن بعض الأسر رفضت عودة بناتهن إلى المنزل وقاموا بالتبرأ منهن لأنهن جلبن لهم العار فكان عاملا مساهما في عودة المراهقات إلى ارتكاب السلوكات الإجرامية